**الدرس الثالث:**

**موضوع البحث/ عنوان البحث/ إشكالية البحث**

تمثّل مرحلة (اختيار موضوع البحث) المرحلة الجنينية في أيّ بحث جامعي، لأنّه يقترن بـ(المشكلة) البحثية التي يودّ الباحث حلّها.

وموضوع البحث لا علاقة له بـ(مدونة البحث) التي قد تكون رواية أو ديوانا أو مسرحية أو نظرية نقدية؛ بل تعني القضية أو المسألة التي سيخوض فيها الباحث. ويتبلور الموضوع عبر السؤال المركزي الذي يطرحه الباحث، ويحاول الإجابة عنه، بالاعتماد على المصادر والمراجع، وبالاعتماد على المناهج المتاحة.

أما (المدونة) فهي السند الذي يعتمد عليه الباحث لصياغة إجاباته المحتملة؛ قد يبحث الباحث في موضوع (المركزية الذكورية) مثلا في إحدى الروايات، والرواية التي سيختارها مدونة له، سيعتمد عليها كمرجعه الأساسي لاختبار فرضياته، والبحث عن الإجابات عن سؤاله المحوري عبر أحداث الرواية وشخصياتها وحواراتها...إلخ.

مبدئيا، لا ينفصل موضوع البحث عن إشكاليته ولا حتى عن عنوانه، وهذا ما سنبينه في هذا الدرس.

**اختيار موضوع البحث:**

إنّ تحديد موضوع البحث يضمن للباحث بداية صحيحة وسليمة لبحثه؛ أما السؤال الذي يطرحه أي باحث مبتدئ فهو: من سيحدد هذا الموضوع؟ الباحث نفسه أم مشرفه؟

المعمول به، وهو الذي يمثل مبدأ أساسيا في البحث، أنّ ما يحدد موضوع البحث هو الباحث نفسه. ويكون ذلك في شكل (هاجس معرفي) أو في شكل (أسئلة ذاتية) تبلورت بعد سلسلة من القراءات في مجال تخصصه.

يفترض أنّ يكون الباحث قادرا على المبادرة انطلاقا من إحساسه بالمشكلات المعرفية التي تواجهه في مجال تخصصه؛ وتلك المشكلات هي في حد ذاتها بمثابة دوافع قوية لتوسيع مداركه. ذلك أنّ الخوض في أي بحث هو أولا تلبية لحاجة الذات للمعرفة أكثر، فكلما زاد اطلاعها تفاقمت الأسئلة وتكاثرت القضايا، وتعمق إحساسها بالجهل أيضا.

يُمكن الاستعانة بالمؤطر أو المشرف أو بباحثين آخرين لمناقشتهم الموضوع وإثرائه بالملاحظات والتنقيحات، وهذا سيفيد الباحث كثيرا في بلورة الموضوع على نحو أفضل، قبل تسجيله في الإدارة.

ثمة ملاحظة أساسية يجب التنويه بها وهي أنّ أساس البحث الجامعي هو امتلاك حس القلق المعرفي، وعدم أخذ المعارف باستسهال، دون إخضاعها للسؤال والفحص والنقد؛ وهو ما ينبغي على الباحث أن يقوم به اتجاه موضوعه، فهناك دائماً حقيقة غابت عنه، فهو يحتاج إلى آراء الآخرين. لكن للأسف، يحدث أن يُفرض على الطالب موضوعا ما، فلا يناقشه مع مشرفه، فيخوض فيه دون دراية بشعابه ومنعطفاته ومسالكه الوعرة، وقد يضيع أسابيعاً من الجهد قبل أن يكتشف أنّ الموضوع لم يفهمه، أو ربما قد يكتشف فيه خللا أو خللين، وحينها يكون الوقت قد فات لتدارك الخطأ.

ما يجعل مرحلة (اختيار الموضوع) مرحلة حساسة وصعبة، هو كثرة عوامل الاختيار، ولا بأس أن نقسمها، إلى عامل ذاتية وعوامل موضوعية.

**العوامل الذاتية:**

* أن يختار الباحث الموضوع الذي يعكس توجهاته المعرفية والذوقية، وأن يكون منطلقه الأول هو رغبته الذاتية في البحث فيه. وإذا فُرض عليه أن يبحث في موضوع لم يختره هو، فيمكن تجاوز ذلك، بالقراءة حوله، بهدف خلق نوع من الألفة مع هذا الموضوع، وإدراك حدوده وطبيعة الإشكاليات التي يطرحها، وقد ينجح الباحث في ملء هذا الفراغ بينه وبين الموضوع المفروض عليه.

ولا ننسى أنّ الذائقة تتدخل كذلك في اختيار الموضوع، خاصة إذا ارتبط بعمل أدبي أو نقدي؛ فهناك مثلا من الباحثين من يميلون إلى قراءة السرد، وآخرون إلى قراءة الشعر أو المسرح أو النقد مثلا؛ ومن المهم أن يحترم الباحث عامل الذوق الجمالي والفني كعامل في تحديد موضوع بحثه.

* أن يختار الباحث موضوع بحثه ضمن إطار تخصصه الأدبي؛ بمعنى أن يعرف أين تنتهي قدراته المعرفية؛ فلا يخوض مثلا في مسائل فلسفية إذا كانت معارفه الفلسفية ضعيفة، أو إذا كان عقله لا يتوافق مع تفكيك الأحجيات الفلسفية.

من المهم، إذن، أن يختار الباحث الموضوع الذي يتوافق مع مستواه المعرفي، فلا يخوض في مسائل هي أكبر منه، بداع التفاخر أمام زملائه. إنّ قيمة البحث لا تكمن في فخامة الموضوع أو تعقيده، بل في نتائجه ومدى تحقيقه لأهدافه المعرفية.

* على الباحث أن يكون مُدركاً للصعوبات التي يمكن أن يواجهها باختياره لموضوع بحثه؛ مثلا، نتخيل طالبة ملتزمة دينيا، تكتشف بأنّ موضوع بحثها لا يتوافق مع التزامها الديني، كأنّ تكون الرواية التي ستحللها مليئة بالمشاهد الجنسية أو بالأفكار الإلحادية، وقد حدث أنّ طالبة توقفت عن إنجاز بحثها، بعد أن اكتشف أخوها أنّها تقرأ رواية لرشيد بوجدرة.

صحيح أنّ منطق البحث يفترض عدم الخلط بين المعرفة والأخلاق الاجتماعية، لكن لا ننكر أنّ للمجتمع تأثير على تكوين الأفراد، والباحث هو فرد من المجتمع، وتتعقد الأمور بالنسبة للمجتمعات المحافظة.

أضف إلى ذلك الصعوبات السياسية، فيمكن لموضوع ما أن يشكل تحديا سياسيا، وقد يورّط الباحث في مشكلات مع السلطة السياسية. إذ يكفي أن نذكر مثلا ما حدث لطه حسين بعد نشره لكتابه (في الشعر الجاهلي) أو ما حدث للمفكر المصري (نصر حامد أبو زيد) الذي تم تكفيره وتهديده بالموت بسبب أبحاثه في التأويل الديني.

**العوامل الموضوعية:**

* على الموضوع أن يتضمن قيمة معرفية، وتتحقق فيه الأصالة؛ فالأصل في البحث أنّه يساهم في تطوير المعرفة ضمن مجال التخصص، وأن يكون مفيدا في تنوير العقول، وتوسيع من دائرة الفهم. لقد قال غادامير أنّ أكبر رهان للباحث في العلوم الإنسانية هو أن يَفهم وأن يُفهِم في الوقت ذاته.

بالإضافة إلى ذلك، أن يكون اختيار الموضوع بهدف الظفر بمكانة في سلم البحث الجامعي، ويكون البحث إضافة نوعية لما سبق من البحوث، وليس مجرد تكرار لما قيل سابقاً، فما الفائدة من إعادة طرح نفس الأفكار؟

قد تتشابه موضوعات البحث، وهذا أمر طبيعي ووارد، لكن تختلف مستويات إدراك أبعادها، وطريقة معالجتها، وطبيعة أهدافها؛ فالذين يحكمون على بعض الأبحاث من تشابه عناوينها، بأنّ الموضوعات مطروقة، فقد وقعوا في خطأ فادح، إذ هم يسلّمون بأنّ موضع البحث ما إن يُبحث فيه في بحث واحد، فهذا معناه أنّ باب الاجتهاد فيه قد أُغلق نهائياً.

* من بين العوامل التي تجعل الباحث يختار موضوعا ما هي توفّر المادة العلمية من المصادر والمراجع والمقالات؛ إذ على الباحث، خاصة إذا كان مبتدئاً أن يتحرى أولا إذا كان موضوع بحثه يتوفر على مصادر معرفية، وإلاّ فإنّ ندرة المراجع قد تعيقه أثناء البحث، لأنّ دور المراجع مهم جدا في توسيع مدارك الباحث حول موضوعه، كما أنّها تمده بما يحتاج إليه من معارف تذلل عليه المصاعب الممكنة.

أحيانا، يتفاخر بعض الباحثين بأنّ موضوعاتهم جديدة، وأنّ لا أحد قد سبقهم إليها، لكن بمجرد أن يشرعوا في العمل سرعان ما يقفون أمام جدار عال. إنها مهمة العلماء والفلاسفة والمفكرين والمنظرين الأدبيين والنقاد الكبار الذين بإمكانهم أن ينتجوا معرفة جديدة ورؤى حداثية متجددة، ومع ذلك لا يفعلون ذلك إلا بعد أن يهضموا كل ما كُتب في مجال تخصصهم، فالجديد ليس حالة من الإلهام الروحي الذي ينزل على الباحث من السماء، بل هو نتيجة لتراكم كبير للقراءات قبل هضمها على نحو جيد، ليكون الباحث قادرا على اختراق المناطق المجهولة في حقله.

وكخلاصة، سنورد ما قاله (أمبرتو إيكو) حول أهم القواعد لاختيار موضوع البحث:

* أن يدخل الموضوع في دائرة اهتمام الباحث (أي أن تكون له علاقة بالامتحانات التي أداها وقراءاته وعالمه السياسي والثقافي أو الديني).
* أن تكون مصادر البحث متاحة، أي أن يستطيع الدارس العثور عليها.
* أن تكون المصادر التي يستند إليها الباحث سهلة الاستخدام أي في دائرة القدرات الثقافية للطالب.
* أن يكون الإطار المنهجي للبحث في متناول يد الطالب وفي إطار خبرته.[[1]](#footnote-1)

**عنوان البحث وعلاقته بموضوع البحث:**

العنوان هو عتبة كلّ بحث، ويكتسي أهمية قصوى في تحديد هوية البحث، من حيث موضوعه وإشكاليته وطبيعة المقاربة التي سيعتمد عليها، لهذا فإنّ الصياغة الجيدة للعنوان هي مرحلة حاسمة في البحث نفسه.

ونظرا لأهمية "العنوان" قال (روبرت داي): ((إنّ الذين يقرأون النص الكامل للبحث هم في واقع الأمر أقل بكثير ممن يقرأون العنوان))[[2]](#footnote-2).

ولو أنّ العنوان قد يمرّ بمراحل أثناء صياغته؛ فهناك صياغة مبدئية عندما يتم تسجيل الموضوع، وقد يكتشف الباحث بعد الشروع في بحثه بضرورة التعديل لوجود خلل ما فيه.

تتوقف صياغة العنوان على مدى فهم الباحث لموضوعه ولمشكلاته المعرفية،

من مواصفات العنوان الجيد:

* أن يكون قصيرا، وتجنّب الجُمل الطويلة، لاسيما تلك التي يكثر فيها حرف العطف، حتّى أنّ القارئ سيشعر أنه بصدد قراءة مجموعة من البحوث في بحث واحد.
* أن يراعي الباحث الصياغة الجذابة.
* أن يصاغ العنوان بكلمات واضحة، والعدول عن الصياغات المركبة والمعقدة.
* أن يضم العنوان الكلمات المفتاحية للبحث.
* أن يكون خاليا من الأخطاء الإملائية واللغوية.

من هنا، نستخلص بأنّ العنوان الجيد هو ((وصف محتوى البحث في أقل عدد ممكن من المفردات في غير إسهاب أو اقتضاب)).[[3]](#footnote-3)

**إشكالية البحث وآليات صياغتها:**

هناك علاقة عضوية بين موضوع البحث وإشكالية البحث، إذ يصبح الموضوع مشكلة بحث عندما نطرح سؤالا أو أسئلة حول هذا الموضوع.

إشكالية البحث هي السؤال المركزي الذي يطرحه الباحث، والذي ينبغي عليه أن يبحث عن إجابة له.

ولأجل تدقيق إشكالية البحث، اقترح "موريس أنجرس" أربعة أسئلة تفيد الباحث في تعريف إشكاليته:

1. لماذا نهتم بهذا الموضوع؟
2. ما الذي نطمح بلوغه؟
3. ماذا نعرف إلى حد الآن؟
4. أي سؤال بحث سنطرح؟[[4]](#footnote-4)

أما عن الخصائص التي يجب أن تتوفر في إشكالية البحث فهي كالتالي:

1. أن تتفق إشكالية البحث بما يتفق وقدرات الباحث. فلا يخوض مثلا في الإشكاليات الفلسفية إذا كان لا يميل إلى الجدل الفلسفي.
2. أن تعكس الإشكالية قضية ذات قيمة علمية، لا مجرد طرح السؤال لأجل السؤال.

لا توجد إشكالية في البحث دون اقتراح فرضية، والفرضية، كما يعرّفها "موريس أنجرس" هي ((إجابة مقترحة لسؤال البحث، يمكن تعريفها حسب الخصائص الثلاثة الآتية: التصريح، التنبؤ ووسيلة للتحقق الأمبريقي)).[[5]](#footnote-5)

وسيكون البحث هو إجابة عن السؤال المركزي، واختبار بنجاعة ما طرحه الباحث من فرضيات.

1. )- يُنظر: أمبرتو إيكو، كيف تعد رسالة دكتوراه، تر: علي متوفي، المشروع القومي للترجمة القاهرة، دط، 2002، ص20. [↑](#footnote-ref-1)
2. ) – روبرت داي و باربرا جاستيل، كيف تكتب بحثا علميا وتنشره، تر:محمد إبراهيم حسين وآخرون، الدار المصرية اللبنانية، ط01، 2008، ص67. [↑](#footnote-ref-2)
3. )- روبرت داي و باربرا جاستيل، كيف تكتب بحثا علميا وتنشره، مرجع سابق، ص67. [↑](#footnote-ref-3)
4. )- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تر: بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون، دار القصبة للنشر الجزائر، دط، 2006، ص142 [↑](#footnote-ref-4)
5. )- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، مرجع سابق، ص151. [↑](#footnote-ref-5)